تعلم اللغة في ضوء المدرسة التوليدية التحويلية ـ دراسة نفسية لسانية.

د. خويلد أسماء – جامعة الجلفة

د . طارق طراد- ـــ جامعة خنشلة

د.سيبوكر إسماعيل –

جامعة ورقلة

الملخص:

تتناول الدراسة موضوع تعلم (اكتساب) اللغة الأم في مرحلة الطفولة من خلال النظرية التوليدية التحويلية إذ تعد هذه المرحلة من أهم المراحل في حياة الطفل والتي تؤهله فيما بعد للدخول في مجال ممارسة اللغة . وقد أثار تشومسكي في دراساته للغة مسائل عديدة، فالإنسان الذي يتكلم لغة معينة قادر في كل آن وبصورة عفوية على صياغة عدد غير متناه من جمل هذه اللغة وعلى تفهمها وإدارتها على الرغم من كونه لم يسبق له أبدا أن تلفظ بأكثرها أو سمعها من قبل ، وهذا الإنسان يستطيع بموجب نشأته في بيئته أن يعبر في كل لحظة بهذه اللغة ، وذلك باتباعه قواعد معينة ، كم أنه يستطيع أن يفهم عدد غير متناه من الجمل التي يسمعها لأول مرة .

الكلمات المفتاحية:التعلم – اللغة – المدرسة –التوليد -التحويل

Summary:

The present study deals with the subject of learning (acquisition) of mother tongue in childhood through the theory of transformational obstetrics.

This stage of life is one of the most important stages in human life because it prepares for the practice of language.

Chomsky says that a person who speaks a certain language is capable of spontaneously formulating and understanding an infinite number of sentences in this language. Even if it has never been uttered or heard before

Keywords: learning - language - school - birth - conversion

تمهيـــــــــــد:

بلغت الدراسات اللسانية الحديثة درجة من الدقة والضبط ، ما أتاح لها أن تتبوأ مكانا بين العلوم الأخرى ولم تكتسب اللسانيات الحديثة هذه الصفة إلا بعد أن أدرك علماء اللغة أهمية الدراسة العلمية للغة[1] بداية من فريدينان دي سوسير في محاضراته التي غيرت من طبيعة التفكير اللغوي ، وصولا للمرحلة التوليدية التحويلية،وهي حاليا المدرسة الألسنية الأوسع انتشارا والأكثر ديناميكية ، وقد تأثر بهذه النظرية العديد من الباحثين على اختلاف

مشاربهم ، فهم يأخذون بعين الاعتبار مفاهيمها ومسلماتها وبالتالي يفردون لها قسما كبيرا من اهتماماتهم ، وإن التأريخ الألسني يتكلم عن الألسنية ما قبل النظرية التوليدية التحويلية ، وما بعدها أي أن هذه النظرية قد فجرت ثورة السنية طبعت الدراسات الألسنية بطابعها الخاص[1] .

من هذا المنطلق سنحاول أن نتبين نظرة تشومسكي إلى عملية اكتساب اللغة التي تختلف بصورة جذرية عن النظرة السلوكية التي كانت رائجة قبل ظهور النظرية التوليدية التحويلية ، إذ أن تشومسكي يصر على بنية التنظيم المعرفي الذي يصل بالطفل إلى اكتساب اللغة[2] .

ومنه فان التعلم أو الاكتساب أمر مألوف في حياتنا الاعتيادية ، وكل فرد يكتسب خلال تعلمه الأساليب التي يعيش بها ، وتظهر نتائج التعلم في ألوان النشاط التي يقوم بها الإنسانفيما ينجزه من أعمال ، ولا يتأتى ذلك إلا بتعريف التعلم تعريفا علميا بغية الوصول إلى فهم حقيقي لهذه العملية.[3]وقبل الحديث عن عملية تعلم اللغة في ضوء النظرية التوليدية التحويلية حري بنا أن نحدد المفاهيم المتصلة بها ، والفرق بينها وبين التعليم، وتناول أبرز شروطها، والعوامل المؤثرة فيها، وتحليل عناصرها.

أولا – عملية التعلم:

1- تحديد المفهوم :

أ – لغة: جاء في لسان العرب علم بالشيء : - شعربه ، يقال ما علمت بخبر قدومه أي ما شعرت . ويقال استعلم لي خبر فلان حتى أعلمه . واستعلمني الخبر فأعلمته إياه , وعلم الأمر وتعلمه : أتقنه , والمعلم : ما جعل علامة وعلما للطرق والحدود , وقيل : المعلم الأثر يستدل به على الطريق وجمعه المعالم .

كما تأتي علم بمعنى عرف : من ذلك قول زهير بن أبي سلمى : -

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكني عن ما في غد عمى

وتعلم الأمر : ، أتقنه وعرفه وعلمته الفاتحة والصيغة وغير ذلك تعليما فتعلم ذلك تعلما[4]

1احمد حسان – دراسات في اللسانيات التطبيقية – ص 10،ميشال زكريا – الألسنية – علم اللغة الحديث – ص 99،د – ميشال زكريا – الألسنية التوليدية التحويلية – وقواعد اللغة العربية – النظرية الألسنية – ص 23

2ينظر. – ميشال زكريا – الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد العربية – بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط 1985 – ص 09 .- احمد مومن – اللسانيات – النشأة والتطور د.م.ج. الجزائر - د.ط 2002 – ص 202 . - جون ليونز – نظرية تشومسكي اللغوية ترجمة وتعليق – حلمي خليل – القاهرة – دار المعرفة الجامعية – د .ط 1955 – ص 11.- ميشال زكريا – علم اللغة الحديث – المبادئ والإعلام - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط 1983 – ص 260 .

3جون روبتز – موجز تاريخ علم اللغة في الغرب – ترجمة احمد عوض – الكويت – سلسلة عالم المعرفة عدد 227- نوفمبر 1997 ص 12

[4]ابن منظور – لسان العرب – تحقيق أحمد عامر حيدر منشورات دار الكتب العلمية – بيروت لبنان , مادة " علم "

ب – إصطلاحا : التعلم عملية أساسية في الحياة ، فكل إنسان يتعلم وأثناء تعلمه تنمو أنماط السلوك التي يمارسها ، وكل مظاهر النشاط البشري تعبر عن عملية تعلم ، بل إن الطفل في عملية نموه يخضع لتعلم مستمر من بيئته الخارجية فهو يتعلم أن ينادي أمه عن طريق الصياح ويتعلم التمييز بين الموضوعات الخارجية ، وطالما تنمو أطرافه يتعلم كيفية القبض على الأشياء وتركها وطالما أرجله يتعلم المشي ويتعلم اللغة وأساليب مخاطبة الناس ، وآداب المائدة واحترام الكبير .[5]

وتحديد المقصود بالتعلم مشكلة أساسية ليس في حدود النظرية لهذا المفهوم ، وإنما للنتائج العديد التي تترتب عليها ، والتطبيقات المختلفة التي ترتبط بها[6]

إن ما ورد من تعريفات تقليدية في المعاجم المعاصرة " التعلم أن تحصل أو تكسب معرفة عن موضوع ، أو مهارة ، عن طريقة الدراسة ، أو الخبرة ، أو الخبرة ، أو التعليم" أما التعريف المتخصص فينص على أن " التعلم تغير مستمر – نسبيا – في الميل السلوكي ، وهو نتيجة الممارسة المعززة " ، وإذا حللنا مكونات تعريف التعلم فإننا نستطيع أن نستخلص ما يلي:[7]

1- التعلم هو "الاكتساب " أو "الحصول " على شيء .
2- التعلم هو الاحتفاظ بمعلومات أو بمهارة ما .
3- و الاحتفاظ يتضمن (أنظمة الاختزان ، والذاكرة ، والتنظيم المعرفي)
4- يشتمل التعلم على التركيز الايجابي الواعي على الأحداث التي تقع داخل الجهاز العضوي أو خارجه
5- التعلم تغير في السلوك
6- التعلم يتضمن شيئا ما من الممارسة ، وقد تكون ممارسة معززة .

ويمكن أن يفضي ذلك كله إلى مجالات فرعية أخرى في علم النفس من مثل عمليات الاكتساب – الإدراك – أنظمة الذاكرة – الاسترجاع – أساليب التعلم الواعية وغير الواعية – نظرية النسيان – التعزيز – دور الممارسة .

و يرجع اهتمام علم النفس التربوي بموضوع التعلم إلى أن دراسة التعلم تحقق ثلاثة أغراض هامة وحيوية يمكن أجمالها فيما يلي :

5محمود عبد الحليم منير ، احمد صالح ، مها إسماعيل هاشم ، سيد الطرب ، ناجي محمد قاسم ، نبيلة ميخائيل مكاري - المدخل إلى علم النفس التربوي ، الإسكندرية – 2002 – ص 133

6إبراهيم وجيه محمود – التعلم – السنة ونظرياته وتطبيقات – دار المعرفة – الإسكندرية ، 2003 – ص 11

7إبراهيم وجيه محمود – التعلم – السنة ونظرياته وتطبيقات – دار المعرفة – الإسكندرية ، 2003 – ص 11 . دوجلاس براون – ترجمة – عبده الراجي ، علي احمد شعبان ، دار النهضة العربية – بيروت – 1994 - ص25 – 26

1 / - تساهم دراسة التعلم في تنظيم محتويات البرامج المدرسية المختلفة ، وفي أوجه النشاط اللازمة لزيادة خبرات التلاميذ ، عن طريق المساهمة الفعالة في المناهج ويصبح التعلم – الذي يعتبر حينذاك توجيها لعملية التعلم – مرتبطا بأهداف المجتمع وحاجاته ، وكذالك مراعيا لحاجات التلاميذ واستعداداتهم .

2/ - تساهم دراسة التعلم في تحقيق الأغراض التربوية التي تسعى إليها المؤسسات التعليمية والتربوية المختلفة ، إذ أن التعلم يسبب تغييرا وتعديلا في سلوك الأفراد والجماعات حتى تتحقق بذلك الأغراض المرموقة والأهداف المتطلبة أثناء عملية التعلم .

3/ - تساهم دراسة التعلم أيضا في فهمها لكيفية تعلم الأنماط السلوكية وأنواع السلوك المختلفة ، كيف تكتسب اللغة ؟ وكيف يتعلم الطفل الكتابة والعد ؟ وكيف تكتسب وكيف تنمو الميول والقدرات ؟

والتعلم أكثر ضرورة للإنسان منه للحيوان ، وذلك أن الحيوان يولد مزودا بأنماط سلوكية تكفي لإشباع حاجاته منذ ولادته حتى موته ... ولكن الإنسان تزوده الوراثة بقدر قليل من هذه الأنماط السلوكية الفطرية، لذلك فهو في حاجة لأنماط أخرى يكتسبها ليستطيع أن يعيش في بيئته الاجتماعية يستجيب لمطالبها ،لذلك تطول فترة حضانة الطفل البشري وتقصر فترة حضانة طفل الحيوان ، على أن الإنسان اقدر على التعلم لذلك يتعلم طوال حياته[8]

وعليه فإن التعلم أمر مألوف في حياتنا الاعتيادية فكل فرد منا يتعلم ويكسب خلال تعلمه أساليب السلوك التي يعيش بها وتظهر نتائج التعلم في ألوان النشاط التي يقوم بها الإنسان وفيما ينجر من الأعمال .

وتعريف التعلم تعريفا علميا بغية الوصول إلى فهم حقيقي لماهيته يظل مسألة مثيرة للجدل ، وقلما نجد من الخبراء من يتفق مع غيره بسبب التعريفات واختلاف النظريات، فليس من السهل تعريف التعلم والسبب في ذلك أننا لا نستطيع ملاحظة عملية التعلم ذاتها بشكل مباشر ، ولا يمكن أن نشير إليها كوحدة منفصلة أو ندرسها كوحدة منعزلة ، والشيء الوحيد الذي يمكن في الواقع دراسته هو السلوك ، والسلوك المعتمد على عمليات أخرى غير عملية التعلم ولذلك ننظر إلى التعلم على أنه عملية افتراضية يستدل عليها من ملاحظة السلوك ذاته .

وقد تعددت وتباينت التعاريف التي صاغها علماء النفس لتحديد معنى التعلم نذكر منها :

-

تعريف جيتيس : "Gates"

8محمود عبد الحليم منير ، احمد صالح ، مها إسماعيل هاشم ، سيد الطرب ، ناجي محمد قاسم ، نبيلة ميخائيل مكاري - المدخل إلى علم النفس التربوي، الاسكندرية ، 2002 ص 133

يـرى جيتـيس أن : " الـتعلم تغيـر فـي السـلوك لـه صـفة الاسـتمرار وصـفة بـذل الجهـد المتكرر حتى يصل الفرد إلى استجابة ترضي دوافعه وتحقق غاياته ". [9]

وهذا التعريف يوضح لنا أن الفرد يتعلم إذا كان لديه دوافع أو كانت هناك حاجة عنده توجه سلوكه نحو تحقيق هدف معين يرضي هذا الدافع أو يشبع تلك الحاجة , وهذا لا يتيسر إلا إذا بذل الفرد أوجها مختلفة من النشاط يسخر خلاله ما لديه من قدرات ومهارات للوصول إلى هذا الهدف .

تعريف جيلفورد : "Guilford"

يعرف جيلفورد التعلم بقوله إن التعلم هو تغير في السلوك يحدث نتيجة استشارة , وهذا التعريف شامل لا يعطي حدودا لعملية التعلم ، فطبيعة الاستشارة قد تمتد من مثيرات فيزيائية بسيطة تستدعي نوعا محددا من الاستجابات إلى مواقف أخرى غاية في التعقيد .

ويذكر جيلفورد أن التعلم يكون ناجحا بقدر وضوح الهدف وتحديده , ولكن يجب ألا نغالي في هذا الهدف الموقف الذي يشبع حاجة من الحاجات أو يرضي غاية من الغايات .

تعريف هيلجارد و باور : "Hilgard et Bower" :

يشير هيلجارد وباور بأن التعلم هو العملية التي يتغير بها السلوك خلال رد الفعل لمواجهة موقف بشرط ألا يفسرها التغير على أنه نزعة من السلوك الفطري أو النضج , أو حالة عضوية مؤقتة ناتجة عن التعب أو التخدير .

وهكذا يؤكد هيلجارد وباور أن التغير الذي يحدث في نشاط الإنسان بفعل عوامل النضج أو الإستجابات الفطرية لا ينبغي أن ننظر إليه على أته تعلم ، فلا يمكننا القول بأن الطفل الذي يستطيع الوقوف على قدميه نتيجة نموه الطبيعي قد تعلم الوقوف , ولأن إنقباض عين الإنسان عندما يبهرها ضوء الصباح تعلما بل هو فعل منعكس .[10]

تعريف كمبل : "Kimble" :

يرى كمبل أن: " التعلم هو تغير دائم نسبيا في إمكانية سلوكية, تحدث نتيجة للممارسة المعززة "ويشار إلى هذا النوع من التعريفات أنه تعريف تجريبي أو واقعي ومصطلح التعزيز هنا يشري فقط للواقع الذي يستخدم في تأكيد حدوث التعلم , ويوجد عديد من الاعتبارات التي تجعل التعريف من هذا النوع سهل القبول منها : أن هذا التعريف يوضح مكانة مصطلح التعليم كما مفهوم أو متغير وسيط بين متغير مستقل (ممارسة معززة) ومتغير تابع (تغير دائم نسبيا في السلوك) و أنه يهيئ لتمييزها بين التعلم و الأداء .

9محمود عبد الحليم منسي – أحمد صالح بها إسماعيل هاشم , سيد الطواب ، ناجي محمد قاسم ، نبيلة ميخائيل مكاري ، المدخل إلى علم النفس التربوي , الإسكندرية 2002 ص 134

10المرجع نفسه ص 135

والتعريف السابق أيضا يفصل التعلم بوضوح من أي تغيرات أخرى في السلوك لا يرجع إلى الممارسة المعززة مما قد يحدث خلطا في المعنى , بالإضافة إلى ذلك فإن هذا التعريف يقدم لنا عددا من الأمور الأساسية المرتبطة بتعريف التعلم.[11]

تعريف احمد زكي صالح :-

ذكر احمد زكي صالح أن التعلم من الناحية العلمية هو عملية فرضية مثلها في ذلك أي عملية في العلوم الطبيعية كالكهرباء أو الحرارة فهذه عملية فرضية ، لا نلاحظها مباشرة وإنما نستدل على آثارها أو نتائجها،وما نلاحظه في الموقف التعليمي هو الأداء ، والأداء هو ما يقاس من السلوك وبذلك نستطيع تحديد مفهوم التعلم كما نلاحظ ونقيسه في المواقف التعليمية أو التجريبية ، ففي أي موقف يقابل الإنسان نلاحظ مايلي :-

أولا : مجموعة المثيرات الخارجية التي تؤثر على الفرد في موقف ما

ثانيا : استجابات الفرد في هذا الموقف نتيجة لهذه المثيرات ، وهذا ما نعبر عنه " بأداء الفرد " فيعرف الأداء إذن بأنه " مجموع الاستجابات التي يأتي بها الفرد من موقف معين " .

وهذا الأداء هو ما نلاحظه ملاحظة مباشرة ، لكننا لا نلاحظ التغيرات الداخلية التي مر بها الفرد أثناء اكتساب الخبرة ، فنحن نستدل على التيار الكهربائي بتأثيره الكيميائي في المحاليل، وتأثيره الضوئي في الأسلاك المتوهجة ، وتأثيره المغناطيسي على إبرة مغناطيسية سهلة الحركة .ولا يعني ذلك أن كل تغير في السلوك أو الأداء يعتبر تعلما ، فالتغير الناتج عن النضج أو عوامل التعب يختلف عن الأداء الناتج عن التعلم .

والواقع أن معظم السلوك الإنساني من النوع الإجرائي ، أي انه تظهر دون مثيرات محددة كما هو الحال في السلوك الاستجابي ، وان أمثلة السلوك الإجرائي هذا ، سلوك الإنسان وهو يتناول وجبة طعامه ، أو حينما يقود سيارته ، أو حينما يكتب خطابا ، أو يمارس رياضة .

والتعلم الإجرائي لا يؤدي إلى تكوين ارتباطات أو استجابات جديدة لم تكن موجودة من قبل لدى المتعلم ، ولكن الاستجابات الصحيحة تكون موجودة أصلا لديه و في إمكانه إجراؤها، ووظيفة التعلم هو أن ينتقي هذه الاستجابات من بين غيرها ويقويها ، ويؤدي إلى تكاملها حتى تظهر سريعا في حالة وجود الموقف المثير .

وليس معنى ذلك أن الاستجابات التي تنتقي لا يصيبها ايي تغير أو تعديل يتقدم التعلم ، فسلوك المتعلم يأخذ في التغير والتعديل كلما اخذ التعلم مجراه ، فالاستجابات الصحيحة لاتبقى كما هي إنما تتغير عملية التعلم باستمرار لتصبح أكثر دقة وسرعة .[12]

11المرجع: نفسه ص 136

12محمود عبد الحليم منسي – أحمد صالح بها إسماعيل هاشم , سيد الطواب ، ناجي محمد قاسم ، نبيلة ميخائيل مكاري ، المدخل إلى علم النفس التربوي , الإسكندرية 2002 ص 138 – 139

ويرى بعض السلوكيين أن التعلم تغير يكاد يكون دائما في إمكانية السلوك ، وهو تغير ناتج عن الممارسة المعززة ويرتكز هذا التعريف على ثلاث دعائم :

1 / السلوك :- وهو كل نشاط يصدر من الإنسان ، ويمكن أن يدرك بالحس ، فهو يدل على جميع الانفعالات والأفكار والعواطف والمشاعر والميول بأنواعها المختلفة .

2 / الممارسة :- هي التعامل مع الخبرات و المهارات المكتسبة والتفاعل معها عن طريق التكرار والتدريب والتمرين.

3 / التعزيز :- هو الدعم المعنوي والمادي الذي يرافق الاستجابة ، يمكن للمتعلم من تحقيق الغاية من عملية التعلم

وهناك تعريفات أخرى تتميز بالشمولية ، فالتعلم من حيث طابعه الطبيعي والنفسي والاجتماعي هو : [13]

أ/ عملية مستمرة للنمو الشامل عند الكائن الحي ، وتحسن دائم يجعل المتعلم مهيأ للحياة بانسجام في بيئة معينة .

ب/ تدريب على أنماط الحياة ، وهو سلوك معين قابل للتغير كطبيعة وصورة دائمة .

جـ/ نشاط مستمر يتحقق بواسطة اكتساب خبرات وقدرات جديدة تثري رصيد الخبرات السابقة.

د/ مساعدة الطفل على اقتحام غمار الحياة بكل مظاهرها في المستقبل ، وذلك عن طريق التدريب المستمر والتوجيه السليم .

يعد التعلم علمية راقية في تكوين الإنسان ، وهو كذالك من حيث انه نظام من الممارسات الايجابية التي تقود أفراد المجتمع إلى السلوكات الناجحة ، ويظهر ذلك بخاصة في التحسن المستمر الذي يظهر أثناء ضبط العمل خلال التدريب على المهارة المقصود تعلمها .[14]

الفرق بين التعليم والتعلم :-

التعليم ما يقوم به المعلم من أداء وإعداد للدروس واختيار للطرائق وما يكلف به التلاميذ من أنشطة وتمارين ووظائف منزلية عملية تعليمية ، أما استجابة التلاميذ لذلك وقيامهم باستغلال تجاربهم ومكتباتهم فهو عملية تعليمية . لذلك فان التعليم أهم وسيلة لاستشارة التعلم ... فلولا توجيه المعلم وإرشاده وإعداده ومسائل الإيضاح لما استجاب التلميذ وتفاعل مع ذلك.[15]

13احمد حساني – دراسات في اللسانيات التطبيقية (مثل تعليمية اللغة) – الجزائر 2000 ص 48 – 49

14المرجع نفسه – ص 134

15التعلم عن الغزالي – ص 50

ولا يمكن عزل التعليم عن التعلم ، ذلك أن " المتطلبات العلمية للتعليم لا تتحقق إلا بوضوح نظريات التعلم " وعلى ذلك يعرف التعليم بأنه تسيير التعلم وتوجيهه وتمكين المتعلم منه ، وتهيئة الأجواء له .

لا شك أن فهم الكيفية التي يتعلم بها للمتعلم سوف يحدد فلسفتك في التعليم ، وأسلوبك ومدخلك ، ووسائلك الفنية في قاعة الدرس ، فإذا كنت تنظر إلى المعلم نظرة " سكز " على انه عملية من التهيؤ الفعال بتأثير برنامج للتعزيز إعدادا جيدا ، فانك سوف تعلم وفقا لذلك وإذا كنت ترى في تعليم اللغة الثانية عملية استقرائية أكثر منها استنباطية فانك سوف تقرر أن تقدم كمية هائلة من القواعد والجداول بتلاميذك بدل أن تدعهم " يكتشفون " هذه القواعد بالاستنباط .

وهكذا فان تعريفا للتعليم هو الذي يفضي إلى المبادئ التي تحكم اختيار مناهج وأساليب بذاتها وهكذا فان نظرية التعليم التي تتبعها تحديد الطريق إلى إجراءات ناجحة إذا كانت متسقة مع فهمك للتعليم وللموضوع الذي تعلمه.[16]

والغزالي يفرق بين هذا وذاك فيقول:

- التعلم هو كشف للغطاء عما حصل في النفوس بالفطرة .

- والتعليم هو إفادة العلم وتهذيب النفوس عن الأخرق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة.[17]

1- العوامل المؤثرة في عملية التعلم : -

إن المتعلم لا يبدأ من تلقاء نفسه تعلم موقف معين ،وإنما لابد له من وجود دوافع تدفعه للقيام بالإعمال وأوجه النشاط التي يتطلبها تعلمه ، وحتى يحقق الغرض الذي ينبغي الوصول إليه من هذا التعلم، وهذا يعني أن نشاط الفرد أثناء عملية التعلم يكون مدفوعا إليه بدافع يمثل العلاقة التوافقية بين الفرد والظروف البيئية التي يتضمنها الموقف التعلمي ويأخذ الدافع أشكالا متعددة يخلف تأثيرها باختلاف العمر الزمني للمتعلم كما أنها يجب أن تتواجد بمستوى معين حتى يعطي اكبر مستوى من الأداء ، وهذا ما سوف نوضحه فيما بعد .

وتتضمن مواقف التعلم بصفة عامة عددا من العقبات لابد أن يتغلب عليها المتعلم أو يتصرف بالنسبة لها تصرفا يحقق تعلمه الذي يؤدي به إلى التغلب على هذه العقبات ، ولن يتمكن الفرد التخلص من هذه العقبات والوصول إلى هدفه ، إلا إذا بذل مجهودا حقيقيا و قام بنشاط خاص ، والتعلم بهذا الشكل عملية تقوم على الممارسة سواء أ كانت خبرات مباشرة أو غير مباشرة ، فلكي يتعلم الفرد السباحة أو العزف على العود لابد له من ممارسة تعتمد على الخبرات المباشرة بدرجة كبيرة فان حل التمارين في الهندسة يتطلب منه معرفة وحل تمارين مشابها ، فالفرد لا يمكن أن يتعلم شيئا نتيجة توصف شخص له الحركات المطلوبة وإنما لا

16_دوجلاس براون ، ترجمة عبده الراجحي، علي احمد شعبان ،أسس تعلم اللغة وتعليمها، دار النهضة العربية، بيروت ، 1994 ص 26

17_ينظر التعلم عن الغزالي – ص 50

لابد أن يبذل نشاطا في تعلمه لكل هذه الحركات وان يمارسها عدة مرات حتى يتحسن سلوكه أثناءها .[18]

فالطفل مثلا لن يستطيع تعلم السباحة أو العزف على آلة معينة إلا إذا كانت عضلاته قد وصلت إلى مستوى معين من النضج يسمح لها بأداء الحركات المناسبة لتعلم هذه المهارات فمهما كان الطفل مدفوعا نحو تعلم السباحة ، ومهما بذل من محاولات لتعلمها، فانه سيفشل حتما إذا لم يكن قد وصل إلى مستوى النضج المطلوب ، كذالك فان حل التمرين يعتمد على مستويات مختلفة من النضج العقلي .

بالإضافة إلى عوامل النضج والدوافع والممارسة ، توجد عوامل أخرى تسهم إسهاما لا يقل أهمية عن إسهامات هذه العوامل ، منها المعلم الذي يعتبر العمود الفقري في العملية التعليمية ، وكذالك العمليات العقلية التي يقوم بها الفرد مثل الانتباه والإدراك والتفكير والإدراك ، وكذالك قدرات الفرد العقلية وسماته الشخصية ، ومدى قدرته على نقل اثر التدرب في عمل معين إلى عمل آخر ، وفيما يلي توضيح لهذه العوامل المؤثرة والمساعدة على تحديد مدى كفاءة التعلم، وهي تنقسم إلى:[19]

أ) عوامل موضوعية

1) مادة التعلم :- إن تعلم قصيدة من الشعر الحديث وحفظها أسهل بكثير من تعلم قائمة من المقاطع عديمة المعنى ومحاولة استرجاعها ، كما أن الأولى يكون ذكرها أسهل ، فالمادة المتعلمة هنا لها علاقة سرعة التعلم ودوامه وكثيرا ما نجد مقررات دراسية معنية ذات صعوبة خاصة بالنسبة لطائفة كبيرة من المتعلمين لها ، كما هو في مقرر الإحصاء لدى عدد من الطلاب في علم النفس مثلا .

2) طرق التعلم :- للتعلم طرق شتى ، وقد تناسب طريقة معينة لموضوع ما أكثر من ملائمتها لتعلم موضوع آخر ، فالتكرار في الشعر مثلا هو الطريقة المثلى إذا قورن بالكتابة كما أن حل التمارين هو انسب طرق التعلم للإحصاء والرياضيات ..... .

واتباع الطريقة الكلية أو الطريقة الجزئية في موضوع ما من موضوعات التعلم أو التحصيل تعلم مركز وتعلم موزع استخدام طريقة التسميع الذاتي والتكرار ، وترك فترات راحة بين تعلم مادة وأخرى ، هذا بالإضافة إلى إتباع المتعلم منهج التعلم الزائد (كمية الممارسة) فإذا زاد المتعلم عن مجرد الحفظ عددا من المرات فان التعلم يكون أكثر دواما ، ويصبح عصيا على النسيان.

3) المـــدرس :- المدرس عامل مهم جدا في العملية التعليمية وخاصة في مدارس ما قبل الجامعة ، للمدرس الناجح أن يثير حماسة تلاميذه ، وان يدفعهم إلى طلب العلم والتفوق فيه ، ويكافئ المجد ، ويستخدم مبادئ الدافعية الاستخدام المناسب ، ومن الواضح أن هناك فروق

18_د. سيد محمد خير الله ،ممدوح عبد المنعم الكناني – سيكولوجية التعلم بين النظرية والتطبيق – دار النهضة العربية . بيروت . 1996 ص 71

19_د. سيد محمد خير الله ،ممدوح عبد المنعم الكناني – سيكولوجية التعلم بين النظرية والتطبيق – دار النهضة العربية . بيروت . 1996 ص 73

كبيرة بين المدرسين وطريقتهم للشرح واستخدامهم لوسائل الانصاح ومدى إتقانهم لما يدرسونه ، بل أن لسماتهم الشخصية عامل مؤثر في العملية التعليمية بالضرورة .

4) البيئة:- لكل من درجة الإضاءة والحرارة والرطوبة والتهوية والضوضاء تأثير في التعلم فان مذاكرة الطالب في حجرة جيدة الإضاءة مكيفة الهواء مبتعدة عن الضوضاء تعد عاملا غير قليل الأهمية على التركيز في موضوع التعلم ، وذلك إذا قورنت ببيئة فيزيقيو ليس فيها مثل هذه الظروف لذى الطالب نفسه .

5) عملية التذكر :- يهدف التعلم إلى الاحتفاظ بالمعلومات لاستخدامها في الوقت المناسب وعندما يحتاج الفرد إليها يستدعيها ويسترجعها أي يتذكرها ، ومن هنا فان التذكر عملية عقلية مهمة في التعلم إلى مدى كبير ، وتعد من أهم العوامل المساهمة فيه والمؤثرة في نجاحه .[20]

ب) عواملذاتية :-

1) الذكاء والقدرات :- تعتمد درجة التعلم على نسبة الذكاء ، فإذا توافر الاثنين من المتعلمين المختلفين في الذكاء فرص التعليم ذاتها فان أكثرهما ذكاء سيتفوق ما لم تتدخل عوامل أخرى كالميول والدوافع وغيرها ، إذ ترتبط سرعة التحصيل وكميته بالذكاء وكذلك بالقدرات الخاصة المطلوبة لنوع معين من التعلم.

2) العمـــــر :- لعمر المتعلم علاقة بمدى استيعابه لموضوع التعلم وسرعة تحصيله ، والعمر الزمني حتى مرتبط بكل من النضج والعمل العقلي .

3) الدافعيـــة :- الدافعية شرط من شروط التعلم ، فلا تعلم دون دافع ، كما أن الدافع الأقوى لدى شخص ما ، يزيد من تعلمه بالمقارنة إلى الدافع الأضعف لدى الأخر كالطالب الذي يدرس ويعمل في الوقت نفسه ، كثيرا ما تكون دوافعه قوية مما يجعله يتفوق على بعض المتفرغين للدراسة .

4) الخبرة السابقة وانتقال التدريب :- تؤثر الخبرة السابقة في موضوع معين في سرعة اكتساب موضوع آخر مرتبط به ، وهذا ما نسميه بانتقال اثر التدريب كتعلم الفرنسية بعد إتقان الايطالية مثلا ، أو الانجليزية بعد إجادة الألمانية ، أو تعلم العزف على البيانو لعازف يتقن اللعب على الكورديون ، وهكذا نجد أن التعلم السابق يسهل التعلم اللاحق إذا توافرت عوامل معينة أهمها تشابه النوعين من التعلم.

5) الانفعـــال :- تنخفض قدرة الإنسان على التعلم إذا كان في حالة انفعالية غير سوية كالغضب أو القلق أو الانقباض ، عما إذا كان في حالة سوية ، ومن المتوقع أن تكون القابلية للتعلم لدى المرضى النفسيين متأثرة إلى حد ما بحالة الاضطراب لديهم .

20_احمد عبد الخالق – مبادئ التعلم – دار المعرفة ، الإسكندرية . 2001 ص 22

6) العوامل العضوية :- تؤثر الصحة العامة للفرد على درجة تعلمه ، إذ تعد الأمراض العضوية عائقا للتعلم في كثير من الحالات ، كما تؤثر في درجة الانتباه وشدة التركيز ، فكثيرا ما نجد بعض حالات التخلف التعليمي سببها أن المتعلم مصاب بأمراض طفيلية بما يترتب عليها من أنيميا تنتج ضعفا في تركيز الانتباه ، ومن العوامل العضوية المؤثرة في القدرة على التعلم كذلك حالة أعضاء الحس لدى المتعلم .[21]

تحليل عملية التعلم :-

تعد عملية التعلم حدثا مركب يتكون من مجموعة من العوامل ، نحاول في هذا السبيل ذكر بعضها بمعزل عن أي مرجعية فلسفية ، سنكتفي فقط بمظاهرها الإجرائية من حيث هي عناصر فعالة ضرورية وملازمة لفعل التعليم . وهي :

أ)مثيرات عملية التعليم:-
أحدهما :- يتعلق بمثيرات خارجية موجودة في محيط المتعلم

والآخر :- يتعلق بمثيرات داخلية تؤثر فيه بطريقة ما .

تنعت هذه المؤثرات بنوعيها عند تولمانTOLMAN بالتغيرات المستقلة التي تلتقطها أجهزة الاستقبال الحسي عند الإنسان ، وتنقلها إلى الجهاز العصبي المركزي ، فالخلايا الحسية البصرية تلتقط المثيرات البصرية ، والخلايا الحسية السمعية تلتقط المثيرات السمعية.

ب)إدراك الإشارات المتعلقة بالمثيرات أو التغيرات المستقلة :-
وذلك حينما تنقل الخلايا الحسية هذه الإشارات إلى الجهاز العصبي الذي يستجيب لها بإرسال إشارات لازمة إلى أجهزة الحركة ، هذه العمليات الداخلية المرتبطة بوصول الإشارات إلى المخ ، وإدراكها ، ثم إحداث رد الفعل المناسب ، ذلك ما ينعت عند تولمان بالعوامل المتوسطة ، ويشمل هذه العوامل جميع صور التفسير الداخلي لعملية التعلم ، وهذه العوامل تكون قاعدة أساسية لتثبيت العادة عند الفرد المتعلم .

جـ) الصورة الثالثة لعملية التعلم تتجلى في الاستجابة : -

ويتم ذلك بعد حدوث العوامل السابقة (المتغيرات المستقلة) و(العوامل المتوسطة) والنتيجة المحققة من عملية التعلم وتنعت عند تولمان أيضا بالعوامل التابعة .

يتبين من هذا التحليل لعملية التعلم ما يلي :

1) وجود مثيرات داخلية أو خارجية تؤثر في عملية التعلم .

21_احمد عبد الخالق – مبادئ التعلم – دار المعرفة ، الإسكندرية . ص 22-25

2) تنقل هذه المثيرات إلى المراكز العصبية عن طريق الحواس المستقبلة عند الكائن الحي.
3) يدرك المثيرات عن طريق تفسير إشاراتها البديلة
4) يستجيب المتعلم لهذه المثيرات عن طريق رد فعل معين يظهر على سلوكه .
5) تتكون آلية التعلم عادة بواسطة مثيرات ما تقترن باستجابات معينة .[22]

7. شـــــروط التعلـــــم :

هناك مبادئ تعتبر قواعد تسهل عملية التعلم على المعلم والتلميذ أو هي صفات للتعلم الجيد ، وهي تعلم القواعد الخلقية والاتجاهات الاجتماعية وتحصيل المعاني والأفكار .

وإذا كان التعلم هو عملية تعديل في سلوك الفرد واتجاهاته ومعلوماته فالتعلم هو معونة المتعلم وإرشاده حتى يضفي بما يرجي له من مكتسبات ، ولا يتاح هذا للمعلم إلا إذا أحاط بعملية التعلم وظروفها وشروطها ، فعملية التعلم إذن توجه عملية التعلم وتهيئ لها الظروف المواتية لتيسيرها وذلك بمراعاة قواعد التعلم ونلخص أهم هذه القواعد فيما يلي:

1-الدوافع والتعلم :

يجب ان يلاحظ المعلم في الفصل أن الدافع شرط ضروري لكل تعلم، فلا تعلم بدون دافع وذلك لان التعلم هو تغير في السلوك ينجم عن نشاط يقوم به التلميذ، و التلميذ لا يقوم بنشاط من دون دافع ، وكلما كان الدافع قويا زادت فاعلية التعلم ولكن لو زادت شدة الدفع إلى حد معلوم عطل التعلم .

فخوف التلميذ الشديد من الفشل في الامتحان قد يعطل التلميذ عن التحصيل ، ولكن مفتاح دافعية التلميذ يكمن في مدى ما يحققه من إشباع خلال ما يمارسه من أنماط سلوكية، ويحدث التعلم سواء كان متصل بمادة دراسية أو بمشكلة شخصية أو اجتماعية ، عندما تصبح الاستجابات التي سبق أن تعلمها التلميذ غير مناسبة لإشباع حاجاته ، وهكذا فان التلميذ لا يتعلم حل المساءل الحسابية لان لديه ميلا فطريا لهذه الأعمال، وإنما لأنه يستطيع من خلال هذه الأعمال إشباع حاجاته إلى الشهرة بين أقرانه من التلاميذ ، أو التقدير من معلمه ووالديه ، أو إشباع حاجته إلى الانتماء ، أو لان هذا التعلم وما يرتبط به من إتقان يتفق مع مفهومه لنفسه ، فعلى المعلم أن يتحقق إذا كان التلميذ يجد إشباعا لهذه الحاجات خلال ممارسة النشاطات المدرسية المختلفة ، وما هي العوائق التي تحول دون ذل إن وجدت ويحاول مواجهتها.[23]

22_–احمد عبد الخالق – مبادئ التعلم – دار المعرفة ، الإسكندرية . ص 25 ،2- احمد حساني – دراسات في اللسانيات التطبيقية (حقل تعليمية اللغات) ، الجزائر – 2000 - ص 50 - 52

23_محمود عبد الحليم حسني - احمد صالح – مها إسماعيل هاشم – سيد الطواب – ناجي محمد قاسم – نبيلة ميخائيل مكاري – المدخل إلى علم النفس التربوي . الإسكندرية . 2002 . ص 140

ليس للدوافع علاقة وثيقة بالتعلم فقط ، بل هي شرط أساسي من شروط التعلم أو هي كما قال "Gabes" الشرط الذي لا يتم التعلم إلا به ، كما أنها عامل جوهري للبدء في التعلم ، في هي أيضا عامل مهم للاستمرار فيه ومواصلته وتحسينه وتقدمه والتفوق فيه ، والتغلب على ما يواجه المتعلم من صعوبات خلاله ، وقد دلت نتائج البحوث على أن الدافع القوي يزيد من اليقظة ، ويقوي المثابرة ويؤخر ظهور التعب أو الملل .[24]

2) النضج والتعلم :-

مفهوم النضج - Maturation:-

عملية تغير او نمو تدرجي متتابع داخل الكائن العضوي وتحدث هذه العملية دون استشارة خاصة كالتدريب ودون جهد خاص كالتعلم ، ودون تأثير عامل البيئة كما أن النضج ظهور أنماط سلوكية تعتمد بصورة كبيرة على نمو الجسم و الجهاز العصبي والوراثة والتغيرات الناتجة عن النضج هي تغيرات سابقة على الخبرة والتعلم ، ويقتصر دور عامل البيئة على تدعيم هذه التغيرات وتوجيهها ومع ذلك فالنضج شرط من شروط التعلم والإسراع به ،ولماذا لا نعلمه الكتابة على الآلة الكاتبة وهو في عمر الخامسة ؟

إن الطفل في هذه الأعمال لم يصل إلى درجة من النضج العقلي والجسمي تؤهله لتعلم هذه المهارات واكتساب تلك المعلومات ، إذ تظهر الاستجابات المعتمدة على النضج في أوقات يمكن التنبؤ بها أثناء النمو، وهي لا تحتاج إلى تدريب معين كي تصدر ، وما دامت الظروف البيئية المحيطة بالكائن العضوي طبيعية فان السلوك يصدر بالصورة ذاتها تقريبا لدى جميع أفراد النوع إلى حد بعيد ففي أعمار معينة مثلا يبدأ الأطفال في جميع أنحاء العالم في المشي والكلام ، ولا يكونون في حاجة إلى تعليمهم هاتين المهارتين ، ولكن كل ما يحتاجونه هو إتاحة الفرصة لهم بان يمروا بالخبرات الميسرة حتى يخرج هذا الاستعداد الكامن إلى حيز الفعل .

ويشمل مفهوم النضج في علم النفس الجوانب المعرفية (الذكاء ، القدرات العقلية) والانفعالية والاجتماعية ، فضلا عن النضج الجسمي بطبيعة الحال .

ويتصل النضج بالتعلم إلى درجة يصعب فيها الفصل بينهما على نحو لا يبقى ولا يذر ، إذ ما انفك النضج بتقاطع مع التعلم حتى أوشك أن يكون هو إياه ، من حيث إنهما يسهمان في نمو الكائن الحي نموا متكاملا ، يشمل جوانب شتى تفي في مجملها بمتطلبات الحياة السوية.[25]

فيما يلي موجز للعلاقة بين النضج والتعلم :[26]

1) يرجع النضج إلى عوامل داخلية ، على حين يعزى التعلم إلى عوامل داخلية بيئية
2) النضج شرط من شروط التعلم

24_المرجع نفسه – ص 29

25_احمد حساني ، دراسات في اللسانيات التطبيقية – حول تعليمية اللغات – الجزائر 2000 ص 52

26_احمد محمد عبد الخالق – مبادئ التعلم – دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية – 2001 - ص 36

3) النضج وحدة لا يكفي لحدوث التعلم ، فلابد من الدافعية والممارسة
4) يصبح التعلم مهارة ما أكثر سهولة إذا توفر النضج المناسب لها [1]
5) كلما زاد النضج قل التدريب اللازم للتعلم
6) إن التدريب قبل الوصول إلى النضج المناسب قد لا يؤدي إلى تحسن التعلم .
7) إن التدريب قبل الوصول إلى النضج المناسب قد يعوق التعلم مستقبلا ، نظرا لما يسببه من كراهية للتعلم نتيجة الفشل فيه .
8) من المهم أن يبدأ التعلم في السن الذي ينضج فيه الخاصية المرتبطة بما سيتدرب عليه الكائن العضوي (لتعلم الكتابة بعد تمكن الطفل من السيطرة على عضلات يده)

.

3) الممارســـــة والتعلـــم :-

الممارسة هي التدريب Pratique والمران وتكون على عدة صور منها ، المزاولة الفعلية والتطبيق على الموضوعات التي نقصد إلى أن نتعلمها ، وحل التمرينات على المادة التي نهدف إلى إتقانها ، وتصويب هذه الحلول وتصحيحها والتركيز الواعي الموجه نحو هدف لها ـ والتسميع الفاهم لعناصرها ، فضلا عن تلخيصها ، والممارسة شرط مهم من شروط التعلم الجيد ، ولكنها ليشت مرادفة التعلم ، ولا لطريقة من طرقه ، أن كل واحد منا لم يتعلم القراءة والكتابة بمجرد النظر إلى الحروف ومحاولة معرفة الفروق بينها ثم رسمها كما هي ، بل أننا تعلمنا القراءة والكتابة بالإمساك بالقلم ، وكتابة الحروف أو الكلمات بتوجيه من المعلم ، مع تصويبه لأخطائنا والكتابة الفعلية لكلمات مختلفة يأتي الحرف الواحد في أماكن مختلفة منها ، وتكرار هذه العملية عددا كبيرا جدا من المرات ، كما لم نتعلم قواعد الحساب كالجمع بأن يذكر لنا أن : 5 + 7 = 12 ، وهذه عملية الجمع و يجب أن يقيسوا عليها، ومن ثم فان الممارسة نشاط مهم في المدرسة الابتدائية وما يليها من مراحل أيضا . وتتخذ الممارسة أشكالا وطرق مختلفة منها: التكرار ، التسميع ، التلخيص ، حل الأسئلة .... . [27]

ثانيا ـ المدرسة التوليدية التحويلية :-

أكد نوام تشو مسكي رائد المدرسة التوليدية التحويلية(1928 م)على العلاقة بين المنطق واللغة حيث اثبت أن الألسنية تستخدم قضايا المنطق على الصعيد المنهجي وفقا للمتطلبات النظرية الألسنية[28].

وقبل الحديث عن هذه المدرسة لابد من شرح مصطلحي التوليد والتحويل :

أ) **التوليـــــــد : لغـــــة :** ولد ، توالدا ، كثروا وولد بعضهم بعضا ، ويقال ولد الرجل غنمه توليدا كما يقال نتج إنتاجا[29].

27_احمد محمد عبد الخالق – مبادئ التعلم – دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية – 2001 - ص 36

28ميشال زكريا – الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد العربية – ص10 وما بعدها

29- الجوهري – الصحاح ، ص 713.

واصطلاحا يقصد به : القدرة الفردية على تكوين وفهم عدد لامتناه من الجمل في اللغة الأم، بما في ذلك الجمل التي لم تسمع من قبل.[30]

ب) التحويـــــــل :- لغـــــــة :- حالة القوس استحالت بمعنى انقلبت عن حالها التي غمرت عليها .والتحول : التنقل من موضع الى موضع [31]

- اصطلاحا :- التحويل Transformation ، جزء من نظام القواعد في نظرية تشومسكي ، ويتألف من قواعد لها القدرة على الحذف والإضافة وتحريك العنصر من مكانه إلى تعويضه بعنصر آخر ، والتحويلات في نظر تشومسكي هي احد المستويات اللغوية لعلم القواعد ،تقوم بتحويل البنية العميقة إلى بنية سطحية[32]

3) أصـــــول المدرســـــة :-

إن من أهم الأصول التي قامت عليها المدرسة التوليدية التحويلية :

أ)- اعتماد المنهج العقلي :[33]

ويظهر ذلك من خلال الدراسة التي قدمها سنة 1966م بعنوان " علم اللغة الديكارتي " .

ب)- انتقاد المذهب السلوكي الذي يرى بالتفسير الآلي .

جـ)- التركيز على العقل كميزة فارقة بين الإنسان والحيوان وان المهارات الحيوانية طبيعة مركبة .

د)- التركيز على مقدرة الإنسان اللغوية .

هـ)- دعا إلى إحياء فلسفة " أرسطو " ومدرسة " بول رويال "[34]

و)- اعتماد مبدأ "إبداعية اللغة " التي نادى بها "همبولت" حين أكد أن اللغة " عمل عقلي " وتظهر في الصوت المنطوق ، الذي به يستطيع الشخص التعبير عن أفكاره [35]

30احمد مومن – اللسانيات – النشأة والتطور ص 206.

31الجوهري – الصحاح ، ص 318

32تشومسكي – البنى النحوية – ترجمة – يوئيل يوسف عزيز – المغرب – الدار البيضاء – منشورات – عيون .د.ط.د.ت ص 152

33عيده الراجحي – النحو العربي والدرس الحديث – بيروت – دار النهضة العربية – د.ط 1979 ص 119-120.

34_ طيب ربه – مقال بعنوان – منطلقات ومعالم في الدراسات اللغوية الأوربية إلى ماقبل العشرين ، مجلة الآداب واللغات ، إصدار قسم اللغة العربية وآدابها بالاغواط ص 269

35_ عيده الراجحي – النحو العربي والدرس الحديث –ص 122 - 123. 1- ينظر – روبتر- موجز تاريخ على اللغة عند الغرب – ترجمة : احمد عوض – الكويت – سلسلة علم المعرفة – عدد 227 نوفمبر ، 1997 ص 287

ز) – تشومسكي والنحو العربي : في لقاء جمعه بالدكتور " مازن الوعر " وفيه طرح " مازن" أسئلة على تشومسكي عن النحو العربي ، قبل أن ابدأ بدراسة اللسانيات كنت اشتغل ببعض البحوث الفلسفية المتعلقة باللسانيات السامية ، وما اذكر دراستي للاجرومية منذ عدة سنوات خلت أظن أكثر من ثلاثين سنة ، وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري الذي نشأ في بعض ما كنت قد قرأته من تلك الفترة ، ولكنني لا اشعر إنني كفء للحديث عن البحوث اللسانية التي كان العرب قد أسهموا بها لبناء علم اللسان الحديث[36]

4) مبادئ المدرسة التوليدية التحويلية :-

يمكن إجمال أهم مبادئ المدرسة في العناصر التالية :

1) – تركز على تحليل مقدرة المتكلم على أن ينتج الجمل التي لم يكن قد سمعها من قبل وعلى أن يتفهمها ، وفي هذا الإطار تميز المدرسة والأداء الكلامي[37]

أ- الكفاية اللغوية :- يقول تشومسكي: يشير مصطلح الكناية اللغوية إلى قدرة المتكلم – المستمع المثالي – على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني ، في تناسق وثيق مع قواعد لغته ويمكن تحديدها أيضا بأنها معرفة الإنسان الضمنية باللغة وقواعدها التي تقود عملية التكلم بها .

ب- الأداء الكلامي :- هو الاستعمال الذاتي للغة ضمن صياغ معين وفيه يعود متكلم اللغة إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية ، بصورة طبيعية [38].

كما يرى تشومسكي أن الكفاية اللغوية هي التي تقود عملية الأداء الكلامي . ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن الكفاية اللغوية ينطبع عليها الإنسان منذ طفولته وخلال مراحل اكتسابه للغة فالإنسان الذي يتكلم لغته يكون قد اكتسب قواعدها ، ويقول تشومسكي في هذا المضمار : " فمن الواضح جدا أن للجمل معنى خاصا تحدده القاعدة اللغوية ، وأن كل من يمتلك لغة معينة قد اكتسب في ذاته وبصورة ما تنظيم قواعد تحديد الشكل الصوتي للجملة ، ومحتواها الدلالي الخاص ، فهذا الإنسان قد طور في ذاته ما سميته بالكفاية اللغوية "[39]

36_ مازن الوعر – النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية .التوليدية – مجلة اللسانيات – الجزائر – العدد 106 1982 م المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية د.ط 1984 ص 82.

37ميشال زكريا – قضايا السنية تطبيقية – دار المعرفة للملايين – مؤسسة ثقافية للتاليف والترجمة والنشر – بيروت .ط.1 ، كانون الثاني /يناير 1993 ص 61 -.

38_ميشال زكريا – قضايا الالسنية التوليدية التحويلية :ص 32. 33

39_ ميشال زكريا – قضايا الأسنية تطبيقية – ص 62 . 63

2) انتقاد تشومسكي لأفكار كل من " بلومفيلد " و " سكينر" ويظهر ذلك من خلال تعريفه للغة على آلة تسمح بوصل الإشارات الصوتية ومجموعة التمثيلات الدلالية ، وانه يجب دراسة القواعد التي تقوم بهذه العملية [40].

إضافة إلى الكفاية اللغوية والأداء الكلامي فإن من مبادئ هذه المدرسة النظر إلى اللغة على أنها مجموعة غير متناهية من الجمل، وأنها نشاط عقلي ، وأن هناك مستويين من حيث البنية ، البنية السطحية وهي الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي ينطق بها المتكلم واليها تعود الجمل الأصلية التي ترتبط بالأصوات اللغوية وتحدد التفسير الصوتي للجمل أما البنية العميقة ، وهي العامل لإحداث هذا التتابع ، وهي المحمولة من النفس إلى الجمل وترتبط بالدلالات اللغوية ، حيث التفسير الدلالي للجمل[41]

ومن هنا فان مصدر الإبداعية في اللغة يرتد إلى طبيعة اللغة بالذات حسب تشومسكي ثم استنتج أن خصائص اللغة الإنسانية العامة تعتمد على ثلاث خصائص وهي " الفونتيكا الكلية – علم الدلالات الكلية – التنظيم الأساسي للقواعد الكلية (علم التركيب) "[42]

وقد حدد مفهوم الكفاية والأداء ومحاولة اكتشاف إبداعية اللغة واثبات خصائص اللغة الإنسانية العامة ، كما قدم مبدأ ثالثا من مبادئ مدرسته والمتمثل في الكليات اللغوية وأنواعها :

- الكليات اللغوية :[43]

إن القواعد الكلية تكون الهيكلية العظيمة لبنية القواعد التي تخضع لها كل لغة إنسانية كما أنها تحتوي بصفة أساسية على الكليات اللغوية الواجب توفيرها في قواعد اللغات والتي بدورها تنقسم إلى ثلاث أنواع ، ويمكن التمييز بين هاته الكليات . فالكليات الجوهرية تختص بالمفردات المتعلقة بوصف اللغات أما الكليات الصورية فتتناول خصائص القوانين المؤلفة لقواعد اللغة أما الكليات التنظيمية فتتناول كيفية ارتباط القوانين بعضها ببعض وعلاقة المستويات اللغوية فيمل بينها [44].

ثالثا - لاكتساب اللغوي في ضوء النظرية اللغوية :-

1- الآلية المبرمجة:-

40_ ميشال زكريا – قضايا الالسنية التوليدية التحويلية :ص 25

41_ ميشال زكريا – علم اللغة الحديث :ص 268

42_ ميشال زكريا – قضايا الألسنية التوليدية التحويلية :ص 84 – 85

43_ ميشال زكريا – قضايا الألسنية التوليدية التحويلية:ص 86

44_ المرجع نفسه :ص 87

استطاع نوام تشو مسكي من خلال دراسة كيفية اكتساب اللغة عند الطفل أن يوضح لنا مرحة من أهم مراحل الحياة الإنسانية وكيف ان هذه المرحلة هي البداية الإنسانية للنمو العقلي والعضوي لكل إنسان.

إن ظاهرة اكتساب الطفل للغة ليست مشكلة لغوية خالصة بل تصحبها عوامل عقلية ونفسية واجتماعية تؤثر بلا شك في عملية النمو اللغوية,وقد ربطت النظرية اللغوية بين هذه العوامل وهنا تكمن أهمية هذه النظرية فبواسطتها استطاعتشومسكي أن يقدم تفسيرا علميا لظاهرة الاكتساب وارتباطها بقوة نفسية وعقلية وبقدرة الطفل اللغوية.

وقد أطلق تشومسكي انتقادات وجهها تحديدا لعميد السلوكيين سكينرحيث يرفض مفهوم التقليد مدعما رفضه هذا بأنه إذا كانت اللغة سلوكا يكتسب بالتقليد فكيف نفسر الجمل التوليدية غير المحدودة التي يبتدعها الأطفال من بنان أفكارهم والتي يمكننا الجزم أنهم لم يسمعوها من قبل ,ومن هنا نقول إن اللغة ظاهرة اشد تعقيدا وعمقا من مجرد محاكاة وتقليد[45]

كما نادى بالملكة الفطرية التي تمكن الطفل من اكتساب النظام اللغوي وفحو نظريه يتلخص في ان اللغة الأم تكتسب من خلال قواعد فطرية في العقل البشري تتشكل عن طريق النماذج الغوية التي يسمعها الطفل من حوله,ووظيفة هذه النماذج تشكيل القواعد البيولوجية ونهيئتها لتصبح قادرة على التوليد والإبداع ,فالأطفال في نظره يولدون بجهاز لاكتساب اللغة أو بالمعنى الأصح "إن ذهن الطفل شبيه بآلية معينة مزودة بمعلومات تقوم بعمل محدد.....وبصورة أدق يشبه ذهن الطفل بالية مبرمجة هيأتها الطبيعة البشرية لإتمام عملية التعلم[46].

ولفهم هذه المقولة يجب علينا تقسيمها إلى عناصر نستطيع أن تعتبرها الركائز التي تقوم عليها عملية الاكتساب وهذه العناصر نوردها كالتالي:

الآلية المبرمجة: تعمل هذه الآلية على استقبال مؤثرات خارجية واستعاب معانيها وتحويلها فيما بعد إلى إشارات ينتهي بها المطاف إلى أداة شلوك معين له هدف محدد,وتكتمل هذه الآلية أو بالأحرى لكي تقوم بعملها يجب توافر عاملين مهمين جدا في عملية الاكتساب وهما:[47]

ا/ المدخلات inputs : تتلقى الآلية المبرمجة المدخلات وعوامل التأثير التي تثير حركة الآلية وتدفعها إلى سلوك معين وهذه المدخلات تأتي من خارج الآلية ومصدرها الأساسي هو المحيط وما يحتويه.

45_ جون ليونز- نظرية تشومسكي اللغوية - ترجمة حلمي خليل-دار المعرفة الجامعية 1995-ص 228

46_ ميشال زكريا- مباحث في النظرية الانسية- ص 27

47_ المرجع السابق -ص 27

فالمدخلات هي بمثابة العوامل او الأسباب التي تحرك الآلية وتنتقل بها من مستوى معين إلى مستوى أخر ونستخلص من هذا ان وظيفتها الأساسية هي إثارة الحركة لكي تنطلق هذه الآلية.

ب/ المخرجات OUTPUTS: تتحول المدخلات من طرف الآلية وتقوم بتغييرها من شكل إلى آخر ,ونتوصل من خلالها إلى سلسلة من الأفعال او النتائج التي تتحقق من العمليات التي تقوم بها الآلية تلك الأشكال و الأنماط المختلفة التي تبلورت وتصدرت هذه الآلية هي المخرجات

من خلال ما سبق سنحاول أن نبين كيفية حصول هذه العملية:

تقوم الآلية المبرمجة بتحويل " المدخلات " ونقلها من شكاها الأولي إلى شكل آخر فنحصل بذلك على مجموعة منالأفعال والانجازات المحققة من هذه العملية التي تقوم بها الآلية فتصدر اشكالا وأنماطا متباينة في صورة " مخرجات " [48]

2- اكتساب اللغة الأم:-

اهتم تشومسكي باكتساب اللغة عند الطفل حيث أراد أن يصنع نموذجا لها وبالتحديد أراد أن يضع نموذجا للكفاية اللغوية والأداء اللغوي أو الكلامي .

يقول تشومسكي إن اللغة الأم هي تطبيق بسيط ومنظم تنظيما عاليا لصيغة عقلية معقدة وكامنة تتصف بخصائص فارقة وفريدة ....ومن المحتمل أن الكائن الإنساني يحمل مجموعة محددة من الأنظمة التوليدية ,هذه الأنظمة التي ينتقي منها هذا الكائن النحو الخاص بلغته على قاعدة الوقائع اللغوية التي يتعرض لها[49]

بهذا التعريف يؤكد تشومسكي قضية الكفاية اللغوية في ذهن الطفل بأنها ليست مستودعا لقواعد اللغة بل تشكل في الواقع عملية ابتداع أو الإبداعية في اللغة[50]

أي إنتاج وتفسير الجمل الجديدة رغم خضوع هذه الجمل لأحكام القواعد ذاتها,وفي تفسيره لكيفية سير هذه العملية يؤكد تشومسكي أن لدى الطفل قدرات فطرية أو ملكة فطرية تؤهله لاستقبال معلومات لغوية يبين من خلالها لغة بصورة إبداعية تتوافق مع قدراته الباطنية بقدر تقدمه في عملية الاكتساب.

وبالفطرة أيضا يمتلك الطفل أشكالا مجردة للقواعد ويصوغ عدد غير متناه من الفرضيات والقواعد التي حدد له كيفية إنتاج الجمل وفهمها وبعد مدة يستطيع أن يحدد الصواب من

48_ ميشال زكريا- مباحث في النظرية الالنسية- ص27

49_ محمد حسن عبد العزيز- مدخل الى اللغة- ص 42

50_ جون ليونز -نظرية تشومسكي اللغوية-ترجمة حلمي خيل-ص 223

الخطأ في جملة وتصحيحها ,وبعد هذه المرحلة بالذاتنستطيع أن نقول إن الطفل قد امتلك قواعد لغته.[51]

3- نمو الطفل اللغوي:-

اهتمت النظرية التوليدية التحويلية بالأطفال ولغتهم كمدخل إلى لغة الكبار ولكن بصفة مستقلة عنها,وقد اهتمت بها كونها ميزة أساسية للطبيعة الإنسانية واكتساب الطفل لهذه اللغة عبر تنظيم معقد التاهيلية التي تساعده على التكلم بلغته فهذا الاكتساب يتم عن طريق تعرضه للمظاهر اللغوية المحيطة به فيتلقاها من عائلته وبيئته حسب ما سمعه فيدخلها في دماغه عبر تمرير الكلام عليه أو بالأحرى على بنيته الذهنية وينظم الكلام بواسطة تك القواعد[52]

وبهذا تلغي النظرية قول بعض العلماء بان الطفل مجرد صفحة بيضاء نسطيع أن نكتب عليها ما نشاء كما يسهل التأثير عليه أو بان الطفل يكتسب اللغة عن طريق سلوك معين وترد على ذلك باعتبار الطفل أو بالأحرى ذهن الطفل شبيه بالآلية المبرمجة مزودة بمعلومات معينة مهيأة من قبل الطبيعة الإنسانية حصول عملية الاكتساب والتعلم ومنه فتحليل العلاقة بين ما يسمعه الطفل وبين محاولة الكلام يسهم في تفسير عمل الطفل في مراحل نموه اللغوية.[53]

4- المظاهر اللغوية التي يعرض لها الطفل:-

إن الطفل وبواسطة الكلام الذي يلقاه عن طريق الاستماع إلى من يحيطون به يكون مدونة كلامية من لغة بيئته التي ترعرع فيها وهي عبارة عن عينة ندرج فيها الجمل التي تنطق بها أفراد هذه البيئة [54]

وهذه البيئة وان اختلفت عن المرونة التي يعتمدها الباحث في دراسته كونها تحمل جملا حسب سماع الطفل لها وكونها في ذهنه فهي لا خلوا من الأغلاط أو الانحرافات التي يتسم بها الأداء الكلامي

وكما سبق وأن ذكرنا فإن تشو مسكي يميز بين الأداء الكلامي وبين الكفاءة اللغوية كون الأداء الكلامي ينحرف عن قواعد الكفاية اللغوية [55]

51_ميشال زكريا-الالنسية-علم اللغة الحديث-ص 263

52_ المرجع السابق-ص 131

53_ ميشال زكريا-مباحث في النظرية الالنسية-ص 27

54_ ميشال زكريا-الالنسية-علم اللغة الحديث -ص132

55_ المرجع السابق -ص 29

وهذا راجع للمؤثرات الخارجية أو الداخلية خصوصا الفسيولوجية وعيوب النطق بكل ما يتصل باللسان وبظروف استعمال الكلام,وهذا راجع لمؤثرات الخارجية او الداخلية خصوصا الفسيولوجية وعيوب النطق بك ما يتصل باللسان وبظروف استعمال الكلام .

وتشتمل المدونة الكلامية على جمل وعلى علاقات ضمنية قائمة بين عناصر هذه الجمل وبهذه المدونة تترسخ لدى الطفل المعرفة بالعام,وعبر هذه المدونة أيضا يستنتج الطفل الأشكال المجردة اللينة العميقة التي هي محتواة في الجمل ذاتها أو البنية العميقة للكلام،ويستطيع أيضا أن يكتسب أي لغة بصورة طبيعية تبعا للبيئة إلي ترعرع فيها فالنظرية اللغوية تفسر هذا كون أن الطفل سلك الأشكال العامة المشتركة بين كل اللغة الإنسانية كجزء من كفايته الذاتية الفطرية.

ويستحيل على الطفل أن يكتسب لغة لم تبرمج في ذهنه،فاكتساب اللغة بمثابة اكتشاف قواعد اللغة ضمن أطر كلية كافية وراء كفايته اللغوية ومن خلال التفاعل فيما بينها تنتج مادة لغوية بإسهام العائلة في توفير المادة للطفل.

الخلاصة: يمكن أن نلخص أبرز النتائج فيما يلي :

1- إن المدرسة التوليدية التحويلية وضعت الألسنية وجها لوجه أمام قضايا لم تتطرق إليها – بل لم تدركها – في السابق ، وافتتحت تاليا مرحلة جديدة من التأملات الألسنية بدأ تأثيرها يظهر خارج مجال الألسنية
2- ترى المدرسة التوليدية التحويلية أن بنية اللغة تحددها بنية العقل الإنساني وأن خصائص اللغة الكلية دليل على أن هذا الجزء من الطبيعة الإنسانية مشترك،وهو خاصة إنسانية مميزة.
3- قدمت الألسنية التوليدية التحويلية التحاليل المتماسكة والملاحظات المثيرة للاهتمام حول المعرفة اللغوية الفطرية والمكتسبة ، وركزت على أن الإنسان مهيأ بصورة فطرية لكي يتعلم اللغة
4- توصلت المدرسة التوليدية التحويلية عبر إدراك خصائص اللغة الإنسانية إلى نتائج مهمة من خلال إدراك الإنسان الذي يستعمل اللغة ، وقدمت البراهين المستمدة من طبيعة اللغة لدراسة العقل الإنساني .
5- إن اللغة نظام معقد يستطيع الطفل اكتسابه بالتدرج عبر مراحل زمنية متعاقبة
6- تعد عملية اكتساب اللغة عند الطفل اللبنة الأولى التي تساعده على ممارسة حياته اللغوية .
7- للعائلة دور فعال في إعداد الطفل لاكتساب ملكة اللغة، وكيفية النطق الجيد لها
8- يعد " تشو مسكي " من أوائل العلماءالذين دمجوا بين اللغة وعلم النفس .
9- توفر النظرية التوليدية التحويلية انطلاقة فعلية للعلماء من أجل الولوج في مجال علم النفس اللغوي .
10. يتعلم الطفل القواعد الأساسية للغة التي اكتسبها من محيطه ، وتقوم المدرسة بتلقينه هذه القواعد (القراءة والكتابة)

- **المصادر والمراجع :**

1- إبراهيم وجيه محمود – التعلم أسسه ونظرياته وتطبيقاته – دار المعرفة – الإسكندرية – 2003 .

2- احمد حساني – أ- دراسات في اللسانيات التطبيقية (حقل تعليمية اللغات) – الجزائر – 2000

- ب – مباحث في اللسانيات د، م ، ج – الجزائر – د، ط – 1944

3- احمد مومن – اللسانيات النشأة والتطور د،م،ج – الجزائر - د، ط – 2002

4- احمد عبد الخالق – مبادئ التعلم – دار المعرفة – الإسكندرية – 2001

5- تشومسكي – البنى النحوية – ترجمة – يوئيل يوسف عزيز – المغرب – الدار البيضاء – منشورات عيون – د، ط ، د، ت

6- الجوهري – الصحاح – المجلد الأول – تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلا يلي – إعداد وتصنيف – نديم مرعشلي – أسامة مرعشلي – دار الحضارة العربية – بيروت .ط – 1974

7- جون ليونز - أ – مدخل إلى تاريخ علم اللغة في الغرب – ترجمة – احمد عوض – الكويت – ط- سلسلة عالم المعرفة عدد 227 نوفمبر 1997

- ب – نظرية تشو مسكي اللغوية – ترجمة- حلمي خليل – دار المعرفة الجامعية – 1995

8- حسام البهنساوي، القواعد التحويلية التوليدية في ديوان حاتم الطائي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د،ط،ت.

9- دجلاس بيروان – أسس تعلم اللغة وتعليمها – ترجمة – عبده الراجحي – علي احمد شعبان – دار النهضة العربية – بيروت- 1994

10- سيد محمد خير الله – ممدوح عبد المنعم- سيكولوجية التعلم بين النظرية والتطبيق – دار النهضة العربية – بيروت1996

11- صالح بالعيد – دروس في اللسانيات التطبيقية – دار هومة للطباعة والنشر – الجزائر

12- طه عبد الرحمان – المنطق الصوري – بيروت – دار الطليعة – ط 1983

13- د- كمال بشير – علم اللغة الاجتماعي – مدخل دار غريب للطباعة والنشر 1990

14- محمد حسن عبد العزيز – مدخل إلى اللغة – دار الفكر العربي - مصر – ط2 1988

15- محمود عبد الحليم – احمد صالح – مها إسماعيل – سيد الطواب – ناجي محمد قاسم – نبيلة ميخائيل مكاري – المدخل إلى علم النفس التربوي – الإسكندرية – 2002

16- ميشال زكريا – أ- الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد العربية – بيروت – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط -1985

- ب- مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط$_2$ – لبنان -1985

- ج- قضايا السنية تطبيقية – دار العلم للملايين – مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر – بيروت – لبنان – ط$_1$ – كانون الثاني – يناير – 1993

-د- علم اللغة الحديث – المبادئ والإعلام - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع –د،ط

17- عبده الراجحي – النحو العربي والدرس الحديث – بيروت – دار النهضة العربية –د،ط 1979